الفهم والنظرة الى طبيعة الصراع العربي ــ الصهيوني ، راحت تتفاعل وتتراكم وتتركب منذ أمد طويل في نفسية بعض العرب ، قادة مسؤولين وعاديين ، حتى جرّت نفسها الى مواقف معينة ومحددة على الصعيد الراهن في صراعنا مع العدو الصهيوني ــ الامبريالي . دون معرفة طبيعة وأسباب هذه الانماط تظل هناك ثغرة في تفسير العديد من المواقف الراهنة المتعلقة بالحلول المطروحة .

لذلك فاننا سنتعرض هنا بايجاز لأربعة أنماط ، الثلاثة الاولى منها يمكن فهمها لمجرد ايجازها ، أما النمط الاخير فيحتاج الى بحث مطول كموضوع قائم بذاته ، لسنا الآن بصدده مباشرة :

١ ــ يتميز النمط الاول بتسليمه المسبق ، نظريا وعمليا ، بأن دولة اسرائيل انما انشئت لتبقى ، ولا جدوى على الاطلاق من محاولات تغيير هذه الحقيقة . اما الاسباب الكامنة وراء هذا المنحى من التفكير فهي عديدة ، تتراوح بين السبب السيكولوجي المتميز بالعقدة تجاه الامبريالية وقدرتها على فرض ارادتها وحقائقها ، مرورا بالسبب الطبقي المادي المتميز بالتعلق الدائب بالمصلحة الاقتصادية والموقع الطبقي ومرورا أيضا بالابتعاد الكامل عن معترك النضال والانغماس الكلي في صيغ الحياة المريحة السلسة التي لا ترتكز الا على الهدوء وفض المشاكل بالتي هي أحسن ، وصولا بالطبع الى الرعب من البعبع الاسرائيلي ، والقوة التي لا تهزم . من الواضح ، أنه بالنسبة لهذا النمط من التفكير ومن المواقف ، فان جسر حل معضلة ازمة الصراع مع العدو الصهيوني لا يمكن أن يقوم الا بايجاد تسوية سياسية ، تلغي العامل العسكري جملة وتفصيلا وتفتح طريق الجسور الاقتصادية والاجتماعية والحياتية عامة على مصراعيه مع الوجود الاسرائيلي على أرض فلسطين . لا شك أن هذا النمط يفسر نفسه بنفسه ، غير اننا في صدده نجد لزاما أبداء ملاحظتين : الاولى ، أن منطق هذا النمط من المواقف لا يشمل عددا كبيرا من العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، انه محدود الاثر برغم تبنيه من قبل بعض من يتسلمون المسؤوليات هنا وهناك . والثانية ، ان اصحاب هذه النظرة لا يجرأون على الجهر بقناعاتهم علنا ، بل يعبرون عنها بأساليب عديدة مغلفة ، اذ ان هؤلاء ، وان كان بعضهم يقدر المناضلين ، ظلوا ينظرون الى النضال وكأنه مضيعة للوقت أو مجال للكسب الشخصي وللزعامة الى آخره .

٢ ــ تمثل النمط الثاني ، الذي تعود اليه جذور نهج التسوية السياسية لقضية الصراع العربي ــ الصهيوني ، مجموعة من « الحكماء » و« الاذكياء جدا » ، الذين أدركوا مبكرا أن لا جدوى من التعامل العسكري أو الثوري مع المسألة ، وانه لا بد من ايجاد قاسم معين يعيد الحقوق لشعب فلسطين ، ربما بالتعويض أو بالتوطين والاندماج الاقتصادي أو حتى بالتقسيم ، مع الافتراض المسبق بوجود حقين في فلسطين ، الاول للفلسطينيين وهو شرعي ، والثاني لليهود وهو مكتسب بفعل الامر الواقع ومرور الزمن . اذن فان المنحى الوحيد لتحقيق القاسم المشترك لا يمكن أن يقوم الا على أساس تسوية سياسية .

٣ ــ أما النمط الثالث فنمثله فئة اصحاب التجارب والخبرات والعارفين ببواطن الامور ، الذين « خبروا » هذا الصراع الدائر في منطقتنا ، و« فهموا » اتطابه والقوى التي تساندهم ، والشروط التي تتحكم به ، والحدود التي يمكن أن يبلغها والتي لا يمكنه بلوغ ابعد منها في أي حال من الاحوال . هؤلاء اقتنعوا أن حصيلة هذا كله تبين أن في التسوية السياسية يكمن الحل الوحيد الاوحد ، وما العمل العسكري والضغوطات التي يولدها الا عوامل للحصول على تسوية أفضل ، من هنا فان أية اطالة لأمد